تفريغ

سلسلة الفوائد العقدية

(1)

النفي في الصفات

أبو مالك التبلنتي الحنبلي

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وإمام الخلق أجمعين، سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين أما بعد فهذه سلسلةٌ نشرع فيها إن شاء الله -سبحانه وتعالى- بعنوان سلسلة الفوائد العقدية، وسوف نسجل فيها إن شاء الله -عز وجل- بعض الفوائد المهمة النادرة المتعلقة بعلم العقائد. فنبدأ بالفائدة الاولى في هذه الحلقة المختصرة، وهي متعلقة بمسالك النفي في باب صفات الله رب العالمين.

الفائدة الأولى: النفي في الصفات

اعلم أيها الحبيب الكريم أن هناك قاعدة لدى أهل السنة والجماعة -رضي الله عنهم وأرضاهم وجعل الجنة مثواهم- أنهم يثبتون صفات الله -عز وجل- التي وردت في القرآن والسنة من غير تحريفٍ ولا تعطيلٍ ولا تكييفٍ ولا تمثيل.
ثم اعلم ثانياً أن الصفات تنقسم على أساس وباعتبار النفي والإثبات إلى:
- صفات مثبتة.
الصفات المثبتة قد تكلمت عنها ولله الحمد في سلسلة وقفات مع الأشاعرة.

- صفات منفية.
وأما الصفات المنفية فهي التي ننفيها عن الله رب العالمين، فلا نفي إلا بدليل ولا إثبات إلا بدليل، وطريقة أهل السنة والجماعة في النفي -أيها الأحبة الكرام- في الأعم الأغلب أن *الإثبات عندهم يكون على وجه التفصيل، وأن النفي عندهم يكون على وجه الإجمال.* وعلى هذا فقد يوجد أحياناً في بعض نصوص القرآن والسنة نفيٌ على التفصيل على خلاف هذه القاعدة، وإنما ذكرنا الطريقة الأغلبية في معظم وجمهور نصوص القرآن والسنة، أن الإثبات يكون تفصيلاً وأن النفي يكون إجمالاً.
قبل أن ندخل أيها الحبيب الكريم إلى مسالك النفي، نذكر أنواع النفي. أنواع النفي -أيها الحبيب الكريم- عموماً أربعة أنواع:
- **النوع الأول:** نفيٌ محض، والنفي المحض مساو للعدم.
- **النوع الثاني:** نفيٌ يتضمن في معناه نقصاً، مثال ذلك: كأن تنفي عن رجلٍ ضعيفٍ الظلم، وإنما نفيت عنه الظلم لا لكمال عدله، وإنما بسبب عجزه عن الظلم، لأنه أصلاً لا يستطيع أن يظلم، ليس لديه قوة ولا قدرة على الظلم، فلهذا أنت قمت بنفي الظلم عنه، فنفيك للظلم عنه كان متضمناً للنقص ألا وهو بسبب عجزه، وقصورٍ في قوته وقدرته.
- **النوع الثالث:** النفي المتضمن كمالاً، وهو النفي الذي يكون في حق الله -عز وجل- ليس هناك نفيٌ جاء في القرآن والسنة إلا وهو نفي متضمنٌ كمال ضد الصفة المنفية، فلو نفى الله -عز وجل- عن نفسه الظلم فمعنى هذا أنه يتضمن الكمال المضاد للظلم، ألا وهو كمال عدله، ولو نفينا عن الله -عز وجل- الفقر فهذا يتضمن كمال الغنى، ولو نفينا عن الله -عز وجل- الضعف فهذا يتضمن كمال القوة..وهكذا، إذاً هذا النوع عكس النوع السابق، النوع السابق كان نفياً يتضمن نقصاً، وهذا النوع نفيٌ يتضمن كمالاً.
- **النوع الرابع:** نفيٌ لا يتضمن نقصاً أو كمالاً لعدم القابلية، نذكر مثال ليتضح المقال -إن شاء الله رب العالمين- مثل نفي العلم عن الصخرة. فلو قلت هذه الصخرة ليست عالمة أو ليست جاهلة، فهذا النفي لا يتضمن نقصاً أو كمالاً. لماذا؟ لأن الصخرة أصلاً ليست قابلة لتلقي العلم، ليست محلاً لتلقي العلم، فهذا نفيٌ لا يتضمن نقصاً أو كمالاً.

إذاً عندنا أربعة أنواعٍ من النفي: نفيٌ محض مساوٍ للعدم – نفي يتضمن نقصاً - نفيٌ يتضمن كمالاً - نفيٌ لا يتضمن نقصاً أو كمالاً لعدم قابلية المحل، إذاً نستنتج من هذه الأنواع الأربعة ما هو النفي الذي يصلح

استخدامه في باب الأسماء والصفات؟ نقول هو النوع الثالث الذي هو النفي الذي يتضمن كمالاً في حق الباري -سبحانه وتعالى- وأما النفي المحض، والنفي الذي يتضمن نقصاً، والنفي الذي لا يتضمن نقصاً أو كمالاً فهو منفيٌ وممتنعٌ، ولا يجوز استعماله في حق الباري -سبحانه وتعالى.

نأتي إلى مسالك النفي في الصفات المسالك النقلية، السمعية، القرآنية، الحديثية في استعمال النفي في باب الصفات، نوعان:

- نفي مفصل.

- نفيٌ مجمل.

الغالب على النفي في القرآن والسنة أنه نفيٌ مجمل، مثل -قوله تعالى: "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ" هذا نفيٌ مجمل، وكذلك من النفي المجمل استعمال الكلمات أو الأفعال التي تدل على التنزيه، مثل قوله -تعالى: "سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى" فسبحان مصدر يدل على تنزيه الله عن النقائص، كذلك قد يأتي باستعمال الفعل الماضي، مثل قوله -تعالى: "سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ"، وقد يأتي باستعمال الفعل مثل قوله -تعالى: "يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ"، وقد يأتي باستعمال فعل الأمر، مثل قوله -تعالى: "سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى".

إذاً النفي المجمل له طرق: الطريقة الأولى ليس كمثله شيء، الطريقة الثانية الكلمات والأفعال من المصادر والأفعال التي تدل على التنزيه ونفي النقائص مثل سبحان وسبح ويسبح، جاء استعمال المصدر والفعل بأنواعه الثلاثة الماضي والمضارع والأمر، كذلك من النفي المجمل مجيء أسماء الله الحسنى السلام والقدوس، التي تدل على أن الله سالمٌ من كل نقصٍ وعيب، قدوس مقدسٌ ومنزهٌ ومنفيٌ عنه كل نقص وعيب.

وأما النفي المفصل فجاء أيضاً في القرآن، مثل قوله -تعالى:"لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ" و"قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ..." هذا نفيٌ مفصل أيضاً.

إذاً أيها -الأحبة الكرام- هذه خاطرةٌ عن النفي في باب الأسماء والصفات، تكلمنا فيها عن أنواع النفي ثم تكلمنا عن مسالك النفي في القرآن والسنة، هذا وبالله التوفيق، وصل اللهم على سيدنا محمدٍ وعلى آله وأصحابه أجمعين.